

الباب العاشر

أعمال اليوم والليلة

على السَّالِكِ أَنْ يَقُومَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ لِلتَّهَجُّدِ . قَالَ سَيِّدُنَا الصُّدَيْقُ الْأَكْبَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : سَبَقَ طُيُورِ السَّحَرِ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ مِنْ أَسْبَابِ نَدَامَتِكَ . رَأَى شَخْصٌ فِي الْمَنَامِ الشَّيْخَ جُنَيْدًا الْبَغْدَادِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ فَقَالَ لَهُ جُنَيْدٌ : غَابَتْ جَمِيعُ الْكُشُوفِ وَالْكَرَامَاتِ . مَا نَفَعَتْ إِلَّا نَوَافِلُ آخِرِ اللَّيْلِ . لِلشَّيْخِ الْخَوَاجَةِ أَبِي سَعِيدِ أَبِي الْخَيْرِ فِي التَّهَجُّدِ رَبَّاعِي مَشْهُورٌ مَعْنَاهُ :

قُمْ لَيْلًا فَإِنَّ الْعُشَاقَ يُنَاجُونَ لَيْلًا . يَطِيرُونَ حَوْلَ أَبْوَابِ الْحَبِيبِ وَسَقْفِهِ .

يُغْلَقُ جَمِيعُ الْأَبْوَابِ لَيْلًا إِلَّا بَابَ الْحَبِيبِ الَّذِي يُفْتَحُ لَيْلًا .

بَعْدَ الْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ يَدْعُو بِالذَّعَاءِ الْمَسْنُونِ .

يُنْتَظَفُ الْجِذَاءُ فَيَلْبَسُ النَّعْلَ الْأَيْمَنَ أَوَّلًا ثُمَّ الْأَيْسَرَ ، ثُمَّ يَذْهَبُ إِلَى الْحَمَّامِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ مَعَ قِرَاءَةِ الْأَدْعِيَةِ الْمَسْنُونَةِ . (قِرَاءَةُ الْأَدْعِيَةِ الْمَسْنُونَةِ فِي الْأَوْقَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ الْمُنَاسِبَةِ مَهْمَةٌ جَدًّا لَا يَتَكَاسَلُ فِيهَا أَبَدًا فَإِنَّهَا تُسَاعِدُ الْإِنْسَانَ لِلْوُقُوفِ الْقَلْبِيِّ) .

رُوي عَنِ الْخَوَاجَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْأَخْرَارِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بَعْدَ الْوُضُوءِ ثَلَاثًا : اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ . وَالْهَدَفُ مِنْ هَذَا الذَّعَاءِ التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ لِيُنَالَ الطُّهَارَةَ الْبَاطِنِيَّةَ مَعَ الطُّهَارَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَبِهَذَا يَسْنَهُ

حُصُول كَيْفِيَّاتٍ: «أَنْ تُعْبَدَ اللَّهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ» وَهُوَ أَقْصَى الْغَايَاتِ عِنْد الصُّوفِيَّةِ.

يُصَلِّي بَعْدَ كُلِّ وُضُوءٍ رَكَعَتِي تَحِيَّةِ الْوُضُوءِ. كَانَ سَيِّدَنَا بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوَاطِبُ عَلَيْهَا.

عَنْ بَرِيدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِلَالاً فَقَالَ: «يَا بِلَالُ، بِمَ سَبَقْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ؟ مَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَطُّ إِلَّا سَمِعْتُ خَشْخَشَتَكَ أَمَامِي»، فَقَالَ بِلَالٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَدْنْتُ قَطُّ إِلَّا صَلَّيْتُ رَكَعَتَيْنِ، وَمَا أَصَابَنِي حَدَثٌ قَطُّ إِلَّا تَوَضَّأْتُ عِنْدَهُ، وَرَأَيْتُ أَنَّ لِلَّهِ عَلَيَّ رَكَعَتَيْنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بِهِمَا».

[جامع الأصول ج ٨ ص ٥٧٦]

يَقْرَأُ فِي الرَّكَعَةِ الْأُولَى مِنْهُمَا سُورَةَ الْكَافِرِينَ وَفِي الثَّانِيَةِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ.

يُصَلِّي صَلَاةَ التَّهَجُّدِ بِكَمَالِ خُشُوعٍ وَخُضُوعٍ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَوْ ثَمَانِ رَكَعَاتٍ أَوْ اثْنَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً.

كَانَ الْخَوَاجَةُ أَبُو يَوْسُفَ الْهَمْدَانِي يَقْرَأُ فِي الرَّكَعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ رُكُوعاً مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِيهِ آيَةُ الْكُرْسِيِّ وَآخِرَ رُكُوعٍ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَمَانِ رَكَعَاتٍ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ عَشْرَ آيَاتٍ يَتَمُّ فِيهَا سُورَةُ يَسٍ، وَيَقْرَأُ فِي الرَّكَعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ ثَلَاثاً. (وَالشَّيْخُ أَبُو يَوْسُفَ الْهَمْدَانِي هَذَا اسْتَفَادَ مِنْ صُحْبَتِهِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي، وَالشَّيْخِ الْخَوَاجَةِ مُعِينِ الدِّينِ الْأَجْمِيرِي، وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّهُ شَيْخُ التَّعْلِيمِ لِهَمَا).

كَانَ الْخَوَاجَةُ عَزِيزَانِ عَلِي الرَامِيتِي يَقُولُ: تَجْتَمِعُ بِقِرَاءَةِ سُورَةِ يَسٍ فِي التَّهَجُّدِ ثَلَاثَةُ قُلُوبٍ: قَلْبُ اللَّيْلِ أَيْ الْجِزَاءِ الْأَخِيرِ مِنْهُ، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ

أي سورة يس، وقلوب الإنسان. واجتَماع هذه القلوب الثلاثة سبب قبول الدعاء إن شاء الله تعالى.

كان الخواجه عبيد الله أحرار يقول: إن فات التهجد أحياناً يقضيه قبل نصف النهار، والسالك الذي لا يتيقن بالقيام يصلي النوافل قبل النوم.

كان الخواجه بهاء الدين نقشبند البخاري رحمه الله تعالى يقرأ في أدعية التهجد أبياتاً معناها:

جنتك اللهم مستعيذاً بك يا إله العالمين، جنتك أحمل ثقل ذنوبي جنتك وقد جعلت ذنوبي ظهري نصفين. يا معيد العالمين أتيت إلى بابك عاجزاً متضرعاً. لا أقول إني قضيت سنوات في طريقك، أنا ضال جنتك متوجهاً إلى طريقك، جنتك يا مالك الملك بأربعة أشياء ليست في كنزك وهي: العدم والاحتياج والمغفرة والمعصية. جنتك بقلب فقير وقلب مكلوم والاحتياج والخذلان. جنتك بها كلها شاهدة على دعوى عشيقك. فانظر إلي نظرة رحمة وانظر إلى بياض شعري فإني جنتك بوجه أسود من الندم.

وليدع السالك أحياناً بمناجاة منسوبة إلى سيدنا الصديق رضي الله عنه، وبعد الفراغ من الدعاء يستغفر الله تعالى مائة مرة، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة. سأل رجل شيخ العرب والعجم مولانا عبد الغفور العباسي رحمه الله ماذا نعمل أولاً الاستغفار أو الصلاة على النبي ﷺ؟ فقال: الاستغفار مثل صابون غسيل الثوب، بينما الصلاة على النبي ﷺ كطيب الثياب، فهل تطيب الثوب أولاً أو تغسلها بالصابون؟ فأجاب السائل: يا سيدي! المناسب أن نغسل بالصابون ثم نطيب بالطيب فقال: كذلك استغفر الله أولاً بكمال ندم حتى يظهر القلب ثم تصلي عليه

بمَحَبَّةٍ واحْتِرَامٍ حَتَّى تَتَطَيَّبَ وَيَدْخُلَ طَيِّبَ حَبِّ الرَّسُولِ ﷺ فِي عُضْوِ
عُضْوٍ.

وَيَسْتَعْمَلُ بَعْدَ التَّسْبِيحَاتِ فِي الذِّكْرِ وَالْمُرَاقَبَةِ أَي فِي ذُرُوسِ أَعْطَاهَا
شَيْخُهُ وَيُرَاقِبُ بِتَوَجُّهِ كَامِلٍ بَعْدَ دَفْعِ جَمِيعِ الْوَسَاوِسِ، وَقَدْ وَصَّى
الْحَوَاجَةَ بِهَاءِ الدِّينِ نَقَشِبَنْدِ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِلشَّيْخِ مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ
يَعْقُوبَ الشَّرْحِي رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ اشْتَعَلَ فِي الدَّرْسِ الْبَاطِنِيِّ قَبْلَ طُلُوعِ
الصَّبَاحِ.

يُؤَدِّي رَكَعَتِي الْفَجْرِ فِي الْبَيْتِ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْمَسْجِدِ
وَيُؤَدِّي صَلَاةَ الْفَجْرِ بِجَمَاعَةٍ مَعَ التَّكْبِيرَةِ الْأُولَى، وَلِيَلْتَزِمَ مَحَافِظَةَ التَّكْبِيرَةِ
الْأُولَى عَلَى نَفْسِهِ فِي الْفَرَائِضِ، فَإِنَّهُ شِعَارُ الصَّالِحِينَ، وَكَانَ مَشَايِخُ
سِلْسِلَتِنَا الْعَالِيَةِ لَا تَفُوتُ لَهُمُ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى شَهُورًا مُتَوَاصِلَةً.

يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ بَعْدَ قِرَاءَةِ الْأَذْعِيَةِ الْمَسْنُونَةِ وَيَتَوَيَّأُ الْعِتْكَافَ
وَيَسْتَقْبِحُ جَدًّا الْاِسْتِعْغَالَ بِالتَّكَلُّمِ عَنْ أُمُورِ الدُّنْيَا فِي الْمَسْجِدِ وَيَصَلِّي كُلَّ
صَلَاةٍ كَأَنَّهَا آخِرُ صَلَاةٍ فِي الْحَيَاةِ حَتَّى يَنَالَ عِزْلَةً كَامِلَةً.

يَسْبِّحُ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بِتَسْبِيحَاتِ فَاطِمِيَّةٍ ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ» مَرَّةً وَاحِدَةً، وَيَقْرَأُ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مَرَّةً
وَيَزِيدُ عَلَيْهَا بَعْدَ الْفَجْرِ وَالْمَغْرَبِ «اللَّهُمَّ أَجْزِنِي مِنَ النَّارِ» سَبْعَ مَرَّاتٍ
و: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ» عَشْرَ
مَرَّاتٍ. كَانَ مُرْشِدُ الْعَالَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يُوَاطِبُ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ.

يَقْرَأُ بَعْدَهَا جِزَاءً مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَيَقْرَأُ الْحِفَاطَ حَسَبَ أَحْزَابِهِمْ
وَيَتَّخِذُ قِرَاءَةَ سُورَةِ يَسٍ مِنْ أَعْمَالِ يَوْمِيَّةٍ.

وَيُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لِلْإِشْرَاقِ عِنْدَمَا تَرْتَفِعُ الشَّمْسُ قَدْرَ رُوحٍ أَوْ
رُوحَيْنِ وَلَهُ ثَوَابُ حَجٍّ وَعُمْرَةٍ. كَانَ الشَّيْخُ مَوْلَانَا مُحَمَّدٌ يَعْقُوبَ شَرْحِي

يَقْرَأُ بَعْدَ الْإِشْرَاقِ عَشْرَ مَرَّاتٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَوَصَّاهُ بِهَا الشَّيْخُ سَيِّدُ الدِّينِ الْبَاحُوزِي.

[الرسالة السنئية ص ٣٣]

كَانَ مَسَايِخُ بُخَارِي يَتَوَوَّنُ الْاِسْتِخَارَةَ فِي نَوَافِلِ الْاِسْتِشْرَاقِ، ثُمَّ يَنَامُونَ قَلِيلًا لِيُبَيِّنَ اللَّهُ لَهُمْ أَعْمَالَ الْيَوْمِ كُلِّهِ، وَكَانُوا يُدَاوِمُونَ عَلَى قِرَاءَةِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَسُورَةِ الْكَافِرُونَ، وَسُورَةِ الْإِخْلَاصِ، وَسُورَةِ الْفَلَقِ، وَسُورَةِ النَّاسِ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ. وَيَهْدُونَ ثَوَابَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

ثُمَّ مَنْ يَشْتَغِلُ بِالتَّعْلِيمِ أَوْ التَّعَلُّمِ فَلْيَشْتَغِلْ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا أَوْ مُوظَّفًا فَلْيَشْتَغِلْ فِي عَمَلِهِ مُرَاعِيًا الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ، وَلْيَتْلُزِمَ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَفُوزَ بِالْعَمَلِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رِبَالًا لَا لَّهُمْ فِيهَا حِثٌّ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وهذا يُقَالُ لَهُ: الْوَقُوفُ الْقَلْبِيَّ أَي تَكُونُ الْيَدُ مُشْتَغِلَةً بِالْعَمَلِ وَالْقَلْبُ مَشْغُولٌ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَيُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ لِصَلَاةِ الضُّحَى عِنْدَمَا يَزْدَادُ ارْتِفَاعَ الشَّمْسِ. كَانَ الشَّيْخُ الْخَوَاجَهَ عُبَيْدَ اللَّهِ أَحْرَارَ يُصَلِّي فِي الرَّكْعَةِ مِنَ الضُّحَى سُورَةَ وَالشَّمْسِ وَضَحَاهَا، وَفِي الثَّانِيَةِ: وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَفِي الثَّلَاثَةِ: وَالضُّحَى، وَالرَّابِعَةَ: أَلَمْ تَشْرَحْ.

[أنفاس نفسية ص ١٧]

مَنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى صَلَاةِ الضُّحَى لِمَشَاغِلِ دُنْيَوِيَّةٍ أَوْ مُوَظَّفَةٍ مَكْتَبِيَّةٍ فَلْيُصَلِّ فِي وَقْتِ الْإِشْرَاقِ رَكَعَتَيْنِ بِنِيَّةِ الْإِشْرَاقِ وَأَرْبَعَ رَكَعَاتٍ بِنِيَّةِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَهَذَا الْعَمَلُ أَحْسَنُ وَأَنْسَبُ لَزَمَانِنَا.

إِنْ أَمَكَنَّ بَعْدَ الْغَدَاءِ أَنْ يَقِيلَ فَلْيَقِيلْ، فَإِنَّ الْقَيْلُولَةَ سُنَّةٌ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وبها تيسر المواظبة على التهجد، وعند ما زالت الشمس فليصل أربع ركعات لسنة الظهر، وليصل أربع ركعات لصلاة الظهر في المسجد بجماعة.

كَانَ الْخَوَاجِهُ عُبَيْدُ اللَّهِ أَخْرَارَ يَقُولُ: لِيَقْرَأَ بَعْدَ الظُّهْرِ كَلِمَةً (باز گشت) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهِيَ: إِلَهِي مَقْصُودِي أَنْتَ وَرِضَاؤُكَ هَبْ لِي حُبَّكَ وَمَعْرِفَتَكَ وَالرَّغْبَةَ وَالشُّوقَ إِلَيْكَ.

[أنفاس نفسية ص ٨٤]

بَعْدَ الظُّهْرِ يَسْتَعْمِلُ فِي أَعْمَالِهِ وَإِنْ كَانَتْ فُرْصَةً، فليقرأ دَلَائِلَ الْخَيْرَاتِ، أَوْ جِزْبَ الْبَحْرِ حَسَبَ مَا أُذِنَ لَهُ شَيْخُهُ، وَيَقْرَأُ الشَّجَرَةَ الشَّرِيفَةَ مَرَّةً، وَإِنْ كَانَ فِي الْوَقْتِ سِعَةً فليطالع كُتُبَ الْحَدِيثِ أَوْ الْفِقْهِ أَوْ التَّصَوُّفِ، وَخَاصَّةً مَكْتُوبَاتُ الْإِمَامِ الرَّبَّانِيِّ، أَوْ الْمَكْتُوبَاتُ الْمَعْصُومِيَّةُ أَوْ سَيْرُ مَشَايخِ السَّلْسَلَةِ النَقْشِبندية، وَعَمَلُ بَعْضِ الْمَشَايخِ قِرَاءَةَ سُورَةِ الْفَتْحِ بَعْدَ الظُّهْرِ أَيْضاً.

بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ يَسْتَعْمِلُ فِي الْأُزْرَادِ وَالْوِظَائِفِ. قَالَ الْخَوَاجِهُ دُوسْتِ مُحَمَّدِ الْقَنْدَهَارِيِّ: لِيَرَاقِبِ السَّالِكُ عَلَى لَطَائِفِهِ بِالتَّرْتِيبِ الْآتِي:

عَلَى لَطِيفَةِ الْقَلْبِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى ٥٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الرُّوحِ ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ السَّرِّ ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْخَفِيِّ ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْأَخْفَى ١٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ النَّفْسِ ٢٠٠٠ مَرَّةً، وَعَلَى لَطِيفَةِ الْقَالِبِ ١٠٠٠ مَرَّةً، يَعْني مَجْمُوعُ ذِكْرِ اسْمِ الذَّاتِ ١٢٠٠٠ مَرَّةً.

يَصَلِّي الْمَغْرِبَ بِجَمَاعَةٍ، ثُمَّ يُؤَدِّي سِتَّ رَكَعَاتٍ إِلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكَعَةً بِنِيَّةِ صَلَاةِ الْأَوَابِينِ، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةَ الْوَاقِعَةِ، وَسُورَةَ أَلْمِ السَّجْدَةِ، وَسُورَةَ الدَّخَانِ.

ثم يأكل ويشرب ويصلي العشاء بجماعة ويستغفر مائة مرة ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة، ثم يقرأ سورة الملك.

كان عمل مُرشد العالم رحمه الله أنه يصلي على النبي ﷺ مرة، وسورة الفاتحة مرة، وآية الكرسي مرة، وسورة الكافرون وسورة الإخلاص والفلق والناس مرة، ثم يصلي على النبي ﷺ ويجعل حوله حصاراً ثم ينام ليلاً، وهذا العمل مفيد جداً للحفظ.

على السالك أن يواظب على قراءة آية الكرسي والمعوذتين وتسبيحات فاطمية بعد كل فريضة ويصلي صلاة التسبيح يوم الجمعة ويحاول اغتِكَاف العشر الأخير من رمضان. ويحاول قيام ليلة نصف شعبان وليلة القدر، وليلة عيد الفطر، وليلة عيد الأضحى.

ويحاول أن يصوم الأيام البيض أي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر قمري، وستاً من شوال، وتسعاً من أول ذي الحجة إلى تاسعه ويوم عاشوراء، والخامس عشر من شعبان، وثمانية من أول شهر رجب وشعبان، وإن كان أغرب فليكثر من صيام النفل. وخير الصيام الصوم يوماً والإفطار يوماً. وصيام الدهر مكروه.

وإن كان في ذمته صلوات فائتة أو صيام فليقضها أولاً، وليحفظ الأذعية المسنونة للمناسبات المختلفة، فليدع بها في مواقعها.

ليهتم للصحة الروحية مع الصحة الجسمانية. قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف». كان مشايخنا يتجولون في الوقت المناسب صباحاً ومساءً.

إن أراد التعديل في الأوراد فليستأذن شيخه.